**المحاضرة رقم2 في مفهوم الشعر الشعبي.**

**تمهيد:**

يمثّل الشعر الشعبي مظهرا بارزا من مظاهر الأدب لما له من مكانة عالية وبارزة

في التعبير عن آمال الشعوب وأحلامها وهمومها المتتالية بفعل الزمن، انه الوسيلة الأمثل لقول ما لم يستطع الشعر الفصيح قوله لقربه الشديد من وجدان الشعب وحياته، وصدقه في نقل كل ما اعتراها من آلام وأفراح،ومن هنا نستطيع القول أننا لمعرفة ثقافة شعب ما وأهم مقوماتها،أو منطقة معينة ومعالم هويتها يكون الشعر الشعبي الوثيقة الأمثل لفهم ذلك. **مفهوم الشعر الشعبي:**

إن الدارس للشعر الشعبي يصعب عليه الوصول إلى تعريف دقيق، وسنحاول عرض بعض التعريفات، ثم بعدها سنتطرق لمسألة وإشكالية التسمية، أو المصطلح التي اختلف حولها الباحثون.

الشعر الشعبي جزء من الشعر العربي ويخضع في نظمه لشروط ومعايير بناء القصيدة من موسيقى وإيقاع علاوة على الأوزان والقافية، هذا من حيث الشكل أما من حيث المضمون فبدوره الشعر الشعبي لم يترك موضوعا من موضوعات الشعر الغربي إلا ونظم فيها كالغزل والمدح والرثاء والهجاء وشعر الطبيعة وغيرها، فالشعر الشعبي حسب **محمد قنشوبة** هو« الذي يعبر بصدق عن حياة الشعب بما فيها من أحاسيس وأفكار وقيم اجتماعية بلغة الشعب البسيطة التي يفهمها وبالمعاني والصور التي تناسب ذوقه مما يجعله متواترا بين الناس عن طريق الرواية الشفهية، ولا بأس عن طريق وسائل الإعلام والطباعة والصحافة أو وسائل إعلام أخرى»

فالشعر لون من ألوان الأدب الشعبي، الذي يلمس الشاعر به شغاف قلوب أفراد مجتمعه الذين عاش بينهم أحس بآلامهم وشعر بعواطفهم وأحاسيسهم، واندفع يعبر بالنغمة الساحرة التي تتصاعد من القلوب ألحانا شعرية تتسم بالموضوعية.

ويعرفه خليل أحمد خليل" الشعر الشعبي هو المروي والمكتوب معا وهو الفصيح والعامي، القديم والمتجدد معا، وهو إلى جانب ذلك الحامل ثقافيا لطموح عام لدى الشعب" فأهم ما يميز الشعر الشعبي هو الموازاة بين الفصيح والعامي والتدوين والمشافهة والقدم والجدة وهي الخصائص العامة له.

ويعرفه سلامة موسى بأنه" اللون الذي ارتبط بالشعب وحس إحساسه وكافح كفاحه وتكلم بلغته وصرخ صراخه ولا تلقى عليه كلمات كما تلقى للجائع لقيمات الصدقة "ص49-15

فالنصوص الشعرية تستمد صورها وتعابيرها من الحياة اليومية متخذة من الأحداث التي مر بها الشعب وانفعل بها وسجلها وتداولها وشاعت بين أفراده مصدرا مهما لإلهامه، ومادة دسمة لنظم قصائده.

ويعرف عبد الحميد يونس الشعر الشعبي بقوله" هو القول الذي يعبر به الشعب عن مشاعره وأحاسيسه أفرادا وجماعات، فهو من الشعب وإلى الشعب يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجداني الذي يلاءمه كل الملائمة "

ويقول مارون عبود مخاطبا الشعراء الشعبيين الذي أعجب بشعرهم محاولا توضيح بعض ملامح الشعر" عشتم يا إخواني فأنتم شعراؤنا إن شعركم منبثق من نفوسنا من قلوبنا من أعماق حياتنا من ظلمات أوديتنا وثرثرات أنهارنا وجداولنا من يقظة عجائزنا وأحلام صبايانا ، ...إن الشعور بالحياة ليكونان تابعين إذا عبرتم عنها بغير اللغة الدائرة على الألسن ، وبهذا يثير شاعرنا العامي النفوس إثارة يعجز عنها أكبر شعرائنا الرسميين" نستنتج من القول السابق مميزات عديدة تتصل بمفهوم الشعر الشعبي؛ فهو صادق في كونه ينساب من أعماق النفس دون تكلف وصنعة، ومعبر عن حياة الشعب المعقدة والبسيطة ينطلق من أعماق الحياة وليس من سطحيتها، يمس جميع شرائح المجتمع ويؤثر فيهم غير مميز بين صغير وكبير بين متعلم وغير متعلم.

ويقول التلي بن الشيخ "إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية ، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه متوارثا جيلا عن جيل عن طريق المشافهة ، وقائله إما أن يكون أميا أو متعلما بصورة أو بأخرى مثله مثل المتلقي "

من خلال الآراء السابقة نستطيع أن نخرج بتعريف تقريبي للشعر الشعبي، مفاده أن الشعر الشعبي شعر العامة المنظوم بلغتهم الخاصة والمتناقل بينهم مشافهة، والمعبر عن أحوالهم اليومية وهمومهم أفراحهم في مناسباتهم العامة والوطنية إنه الولد الذي ينشأ في حضنهم مداعبا مشاعرهم مؤثرا ومتأثرا بالأوضاع والأحداث التي تميز فترة نظمه كالسياسية والاجتماعية والدينية.

**إشكالية التسمية:**

بعد محاولة تعريف الشعر الشعبي تصادفنا إشكالية التسمية أو اختلاف المصطلح بين الباحثين المهتمين بهذا الفن ، فمنهم من يسميه الشعر الشعبي ومنهم من يطلق عليه العامي، وفيهم من اختار مصطلح الشعر الملحون، بل ذهب آخرون إلى إطلاق تسمية الشعر الطبيعي والزجل.

أما من ذهب إلى التسمية الأولى " **الشعر الشعبي**" فحسين نصار في كتابه الشعر الشعبي العربي مبررا ذلك بقوله: " لا أضن أن أحدا يعارض في أن الصورة الصافية الدقيقة للأدب الشعبي هي التي تظم الأدب الذي يعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيسه.فالأدب الشعبي إذا هو الأدب الذي يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه، ويمثل تفكيره ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية."

**الشعر الملحون:**

يعد الباحث المرزوقي من الباحثين الذين تبنوا مصطلح الملحون مدافعا عن ذلك بقوله " إن الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم هو أعم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا له، أو كان من شعر الخواص وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنه نطق بكلام عامي ولغة عامية غير معروفة" ركز المرزوقي على نقطة مهمة وهي اللحن في الكلام وبالتالي عدم الخضوع لقواعد اللغة من نحو وصرف.

وهو ما دافع عنه عبد الله الركيبي الذي فضل بدوره الشعر الملحون " لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينهما هو في الإعراب فهو إذا من لحن يلحن في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة " الملاحظ على هذين الباحثين اتفاقهما في الرأي حول شمولية تسمية الملحون على العامي والشعبي.

ويرد عبد الله الركيبي على من اختاروا تسمية : الشعر العامي لأنهم يقصون الشعراء الذين يحسنون القراءة والكتابة كطلك فإن تسمية هذا الشعر بالعامي توحي ربان قائله أمي لا معرفة له باللغة قراءة وكتابة وقد توحي أيضا بأن المتلقي له من الأمين،وبأن هذا الشعر لا صلة له بالفصحى من قريب أو بعيد...والواقع أن الحال مختلف فالقائل قد يكون أميا ،وقد يكون متعلما بصورة أو أخرى مثل المتلقي أيضا ذلك أن بعض القصائد بالرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية المعروفة فهي في روحها فصيحة لأن ألفاضها وعباراتها مما يدخل في تركيب الفصحى أو نسيجها ، وإن كان بعضها لا يراعي البحور والأوزان المعروفة"

ويذهب محمد الفاسي الباحث المغربي إلى تعليل تسمية الملحون بقوله: أول ما يتبادر للذهن أنه شعر بلغة لا إعراب فيها ، فكأنه كلام فيه لحن وهذا كلام باطل لأننا لا نقابل الكلام الفصيح بالملحون وإنما باللهجات العامية ، ففي نضره الملحون مشتق من اللحن إي أن هذا الشعر ينظم ليتغنى به فليس شرطا أن يكون اللحن هنا بمعنى الخطأ إنما المقصود هو العدول عن الإعراب إلى الدارج العامي والعامي بطبعه غير مقيد وكلاهما قابل للحن الفصيح والعامي، والعرب تستملح اللحن بمعنى العدول عن الإعراب والتلغير مثلما تستملح اللثغة في لغة الطفل الصغير.

**الزجل:**

تسمية الزجل اختارها عباس الجراري قائلا" إننا نفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي المغربي وندعو إلى هذه التسمية بدلا من أي تسمية أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار " حاول هذا الأخير توحيد التسمية في أغلب الأقطار العربية ، لكن علميا وجغرافيا لا يمكن هذا التوحيد لأن لكل جهة خصائص تميزها عن الأخرى فلو بحثنا عن التسمية لعثرنا على تسميات عديدة منها الزجل، النبطي، الملحون ،الحميني ،الموال، الموشح، المبيت وغيرها.

**الشعر النبطي:**

تشيع هذه التسمية في الوسط الخليجي ، إذ تعبر عن الشعر الشعبي بصفة عامة والبدوي بصفة خاصة، ويسمى أيضا القصيد وهو الشعر المنظوم بلهجات شبه الجزيرة العربية ومنها المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج العربي وأيضا اليمن والعراق ، ومن أهم مميزاته استخدام المقدمات الغزلية التي تؤدي بعد ذلك إلى موضوع القصيدة الرئيسي من فخر ومدح وحكمة، وأقل من ذلك الهجاء .

وبخصوص التسمية قالوا نسبة إلى بعض المواقع التي تحمل هذا الاسم: وادي النبط ضواحي المدينة.

* نبطاء قرية بالبحرين .
* النبطاء جبل بطريق مكة.والمؤكد أن هذه المواقع بدوية أغلى أنباط العراق وأنباط البتراء.

أما مصطلح الشعر الطبيعي فيبدوا مصطلحا مثيرا للالتباس إذ قد يتراءى لنا من خلاله أنه يقصد الشعر الذي يكون موضوعه الطبيعة وعناصرها فحسب.

**موضوعات الشعر الشعبي:**

الشعر الشعبي جزء من الشعر العربي يخضع بدوره لشروط ومعايير بناء القصيدة وتتوفر فيه القافية والأوزان والإيقاع والموسيقى ويخضع لأنساق تجعل منه عملا أدبيا على مستوى الشكل والمضمون، ومثلما نجد للشعر الفصيح أغراضا وموضوعات متعددة فإن للشعر الشعبي أغرضا وموضوعات متشابهة إلى حد بعيد سنتطرق إليها ببعض الشرح.

1. **الرثاء:**

الرثاء غرض شعري عرف منذ أمد بعيد وسيضل معروفا، وذلك لطبيعة العلاقة بينه وبين الموت فبما أن الموت قدر محتوم على كل إنسان ويعيشه صباحا ومساء وملازم له أينما حل،كان للرثاء معنى لوجوده" فليس في العالم أمة لم تعرف الرثاء، كما أنه ليس فيه أمة لم تعرف الموت" من هنا عد الرثاء أكثر الأغراض الشعرية تعلقا بالوجدان البشري، الأمر الذي يفرز حقيقة مفادها أن هذا الفن الشعري تعلوه أصدق المشاعر الإنسانية كيف لا؟ والفنان يحمل فيه أقسى جراحات القلب ففقدان إنسان عزيز يخلف أثرا عميقا من حزن وألم.

فالنقاد القدامى فهموا الرثاء على أنه مدح للميت فقدامة بن جعفر لايرى فرقا بين الرثاء والمدح إذ المدح هو الثناء على الشخص في حياته والرثاء هو الثناء عليه بعد موته.

شعراء المراثي أوصلوا بمراثيهم عادات معروفة خاصة بشعر الرثاء تداولها جمهور الشعراء فيما بعد، حتى بلغت حد العرف الشعري فلا تكاد تخلوا منه مرثية مثل –**الندب** الذي يعني البكاء الحار والنواح على الميت بألفاظ يكسوها الحزن الشديد والتفجع والأنين والحسرة والكآبة وشدة التوهج العاطفي.

**-العزاء** وفيه الدعوة إلى الصبر على الشدائد والاعتبار بما مضى بمعنى أن الشاعر يترك الدموع وينتقل إلى تنبيه الناس ودعوتهم إلى التفكير والتأمل في قضاء الله وحكمته" الانتقال من حادثة الموت الفردية إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وينتهي بهذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة ، فإذا بنا نجول معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود ومرد هذا كله أن الحياة ظل لايدوم"

-التأبين: نلمس فيه نوعا من الهدوء العاطفي النسبي يهتم فيه الشاعر بالثناء على الميت وتعداد خصاله ومناقبه فيذكر شجاعته وكرمه وأحيانا يبالغ في ذلك وبهذا المعنى يصبح التأبين " ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعي فالشاعر لا يعبر عن حزنه وإنما حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد"

يقول الشاعر :

كنت مسافر بعد غيبة أنا وليت ومعول بابا نشوفو بعياني.

أمع الباب أحباب قلبي هاني جيت سكتوا جملة حد مابا يلقاني.

ماهو عهدي هكذا ندخل للبيت بابا ضاري هو يتلقاني.

1. المدح:

الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف محاسن الممدوح بكلام جميل، وجاء في الصحاح أن مدحه أي أحسن الثناء عليه ونقيضه الهجاء والمدح بمعنى الوصف الجميل يقابله الذم بمعنى عد المآثر ويقابله الهجوا.

غرض شعري قديم يهتم فيه الشاعر بالحديث عن مناقب بالحديث عن مناقب وخصال كان الممدوح رمزا لها أو يخلد مواقف جسدها الإنسان ، وأيا كان الأمر فالمدح يرتبط بقيم إنسانية وأخلاقية فاضلة حققها الممدوح كان لها أثر في الحياة.

والمدح موجود في التراث العربي الإسلامي إذ ألفينا زمرة من الشعراء قد اقتحموا هذا الفن وعبروا عما في نفوسهم من حب وشوق بألفاظ مليئة بالمعاني والأحاسيس ، ويتصل المدح بالفخر حيث كان الشعراء الجاهليون يمدحون قبائلهم وأسيادهم بكثير من المعاني التي كانوا يذكرونها وعلى رأسهم الشاعر زهير .

المدح نوعان مدح النبي عليه الصلاة والسلام، ومدح الأشخاص والمديح النبوي كما يقول زكي مبارك**"** هو لون من التعبير على العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص**".**

**والشاعر الشعبي مولع** بالمدائح النبوية وله في ذلك قصائد تفيض بصدق العاطفة وحرارة الشعور دالة على قوة الإيمان والعقيدة ومن هؤلاء نذكر الشاعر عامر أم هاني الذي مدح النبي صل الله عليه وسلم في مطولة بعنوان " أنوار محمد" التي نلمس فيها عاطفة صادقة طافحة بالأمل والرجاء في الشفاعة يوم القيامة ، افتتحها بأبيات عبر فيها عن مدى سعادته من حب النبي شفيعنا يوم الميعاد.

**يسعد من جب أنبي عنو يكتب محمد شفيعنا يوم الميعاد.**

نار الحب أقدات في قلبي ولهب عقلي يدي طول ليلي دون أرقاد.

1. شعر الوصف:

من الموضوعات الأصيلة في الشعر العربي، وأكثرها حضا من عناية الشعراء ويعد أحد مقومات الشعر الأساسية حيث لا يخلو فن من الوصف وفي هذا يقول ابن رشيق صاحب العمدة" الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه" ففي جميع الأغراض لا بد من اعتماد الوصف ودونه لا تستقيم الصورة الشعرية فهو في الحرب حماسة، وفي الحسب والنسب والشجاعة فخرا وفي الحزن رثاء.

أخذ الوصف حيزه الأكبر في الشعر الشعبي، فاهتم الشعراء الشعبيين به ووظفوه في وصفهم للطبيعة والتغني بجمال الوطن وحسنه، ونعني بالطبيعة كل شيء حي وصامت باستثناء الإنسان، من حيوان وجماد ونبات فقد وجد الشعراء في أحضانها فضاء رحبا للتعبير عن أنفسهم فأودعوها عصارة قلوبهم وعبروا من خلالها عن آمالهم ومطامحهم في الوقت ذاته فجاءت بناء على ذلك صورة حية ناطقة تعكس همومهم في صدق ووضوح.

كانت الطبيعة ولا تزال المحرك الفعال لإبداع الشعراء فهي تمثل خلفية حية باستمرار في وعيهم ولا وعيهم بتفاعلها مع وجدانهم فتبدوا كما لو أن التوتر الذي يبدوا عليها هو نفسه ما في ذات الشاعر والعكس.

وموقف الشعراء من الطبيعة له عدة اتجاهات فهناك من يقف عند حدود المشاهدة الخارجية ويكتفي بالتصوير الفوتوغرافي أي النقل الحرفي لمظاهرها، وهناك من يشرك الطبيعة معه في أحاسيسه ويداعب أجزائها ولا يذوب فيها وفي هذا قال السيد قطب" الطبيعة في الشعر العربي قد تحيى وتدب ويحس الشاعر بما يضطرب فيها من حياة، ويلحظ خلجاتها ويحصي نبضاتها ولكنه لا ينبج فيها ولا يحس أنه شخص من شخوصها وفرد من أبنائها أن حركته من حركاتها"، والصنف الثالث يندمج في الطبيعة اندماجا كليا ويتماها معها حد الذوبان ويخلع مشاعره عليها محاولا بذلك تجسيم مشاعره ومنسلخا عن ذاتيته حتى يبلغ الخشوع والتأمل الباطني منتقلا بعد ذلك إلى ما أسماه علماء الجمال ظاهرة تغلغل الأنا في ثنايا الأشياء وفقدان الشعور بالشخصية وجنوح إلى الاندماج التام ، فالفرق إذا واضح بين من ينظر إلى الشيء بالعين المجردة وبين من ينظر إليه بالروح والوجدان وكل الحواس.

ومما تغنى به الشعراء الشعبيين المواقع والأماكن التي نزلوا بها ومن ذلك قصيدة " بن الزوالي" التي قدمها الشاعر " البشير قذيفة" التي قدمها خلال مهرجان قلعة بني حماد الذي يقام ببلدية المعاضيد، يقول:

اسايلني نحدثك عن ذا المرسم نَحْكيلك ما جاز عنو وقت انفات

اقرا في التاريخ تفهم ما تفهم شوف ابن خلدون تدي المعلومات

دولة صنهاجة انتشرت في العالم تل وصرا حدودها وين صفات

ولحماد أخوه من الأب والأم انفصل عنو قاصد ذي الجهات

عجبوا ذا المكان محصن ويوالم أجبل المعاضيد مصعب للطغاة.

1. شعر الغزل :

قديم هذا الغرض فهو موجود منذ العصر الجاهلي حيث أشار الباحثون إلى القول أن الغزل الجاهلي كان يأتي في شكل مقدمات للقصائد فهو لايعدو أن يكون توطئة للقصيدة ووسيلة الشاعر إلى قلوب السامعين، والبعض يشير أن بداية هذا الفن كانت مع العصر الأموي حيث أصبح جنسا مستقلا عن الموضوعات الأخرى، " ينبغي أن نعترف من أن سماته المميزة قد اكتملت ونضجت في العصر الأموي فاستقرت تقاليده ومقوماته التي اكتسبت معها صورته الأخيرة وشكله النهائي الثابت"

والمتصفح للشعر الشعبي يلاحظ الحظ الوافر الذي أخذه هذا الغرض وذلك لحاجة الإنسان الوجودية والوجدانية للتعبير عن خلجاته وما يستشعره من حب وعشق وحزن وغير ذلك.

عيني شافت ريم واتخب عنها خل القلب يتيه في ليل زماني.

بيني وبينو نار شعلت ومضتها زادت في لهيب قلبي دخلني.

في لحظات احتار قلبي ومنها ما عرفت طريق للنوم اجـفاني.

كثيرة هي القصائد التي أخذت فيها المرأة صورة الحبيبة والأم والأخت عند الشعراء الشعبيين ومن بينهم الشاعر قذيفة القائل:

من جرحتني زينة السالف ذهبي وجلبتني بحنانها ملكتني بيه.

غزال الصحراء يالــخو زاد عذابي وعدت معدم راه طبي بين يديه.

ما يحلالي عيش ما يبرد خاطري وبلا مريم كيف ذا العمر نعديــــه.

نموذج من شعر فؤاد نجم:

من هو فؤاد نجم؟

ولد يوم 23 ديسمبر/كانون الأول 1929 بإحدى قرى محافظة الشرقية في دلتا مصر لأم غير متعلمة وأب يعمل ضابط شرطة، لكن القدر لم يمهل الأب كثيرا حيث غادر الدنيا وترك الصغير،يتيما ليضطر إلى الانتقال إلى منزل خاله، ومنه إلى ملجأ للأيام وهو في عمر السابعة ليبقى فيه 10 سنوات كاملة.

خرج الشاب من ملجأ الأيتام لا يملك مالا ولا شهادة دراسية، فلم يكن أمامه إلا أن يقوم بما يتيسر من عمل مهما كان بسيطا، فجال بالعديد من المهن حيث عمل راعيا وبائعا وعامل بناء وخياطا، وكانت معظم هذه الأعمال في معسكرات الجيش الإنجليزي الذي كان يحتل مصر في ذلك الوقت

في السجن كانت بداية نجم مع الشعر، ومن داخله اشترك في مسابقة شعرية وفاز بها، وعنه كان ديوانه الأول "صور من الحياة والسجن"، ليبدو السجن وكأنه محور حياة الشاعر المشاغب.

بالتعرف على المغني الضرير الشيخ إمام، بدأت المرحلة الأكثر ثراء في حياة نجم وشعره، فإذا كان استخدامه للغة العامية في شعره يجعلها أقرب إلى الناس، فما بالك إذا خرجت إليهم مصحوبة بصوت معبر وألحان شجية ورفيق يشاركه الرسالة في محاربة الظلم وتعرية الاستبداد.

يقول في قصيدة من معتقل طره:

كل ما تهل البشاير

من يناير كل عام

يدخل النور الزنازن

يطرد الخوف

والظلام

يانسيم السجن ميل

ع العتب وارمي السلام

زهر النوار

وعشش في زنازين ...الحمام.

ويقول في قصيدة ح نغني:

ح نغني ودايما

ح نغني

ونبشر بالخير ونمني

ونلف الدنيا الدوارة

على صوت النغمة الهدارة.

وفي قصيدة أنا رحت القلعة يقول معاتبا ولائما الدولة وأساليب قمعها للقوى الثورية

أنا رحت القلعة وشفت ياسين

حواليه العسكر

والزنازين

والشوم والبوم

وكلاب الروم

يا خساره يا أزهار البساتين

عيطي يا بهية

على القوانين.